

صورة الألم النفسي

في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك

دراسة أسلوبية -

د. منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

قسم اللغة العربية- كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الرياض- المملكة العربية السعودية

تاريخ القبول: 2018/12/23

تاريخ الإرسال : 2018 /10/21

ملخص البحث

الأفكار المتعاقبة وتم تحليلها تحليلًا بلاغيًا يكشف عمق الألم النفسي الذي لازم الصحابي الجليل سواء كان على مستوى الألفاظ أو التراكيب أو الصور البيانية.

Abstract

The research highlights the psychological pain endured by the great and respected companion Kaa'b ibn Malik al-Ansari, may Allah be pleased with him who missed the great invasion of Tabuk with the Messenger of Allah (peace be upon him). The introduction of the research focuses on the importance of the subject and the reasons behind choosing it. It also includes the previous studies on the topic, the limits of the study and the outline of the research and its methodology. This is followed by three main steps: stylistics between the old and modern and the profile of Kaa'b Ibn Malik

يسلط البحث الضوء على تصوير أمر مهم وهو الألم النفسي عند الصحابي الجليل كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه والذي تخلف عن غزوة مهمة من غزوات المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي غزوة تبوك ، وقد قام البحث على مقدمة ذكر فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وحدود الدراسة ومخطط البحث ومنهجه الذي سار عليه ، يعقب تلك المقدمة تمهيد للموضوع من ثلاثة جوانب الأسلوبية بين القديم والحديث ونبذة عن كعب بن مالك وغزوة تبوك وتعريف الألم ، أسبابه، أنواعه، فوائد، أعقب ذلك التمهيد تقسيم الحديث إلى مجموعة من

researcher analyzes the depth of the psychological pain to which the companion was subject to whether at the level of words, structures or rhetoric figures.

and the invasion of Tabuk. Finally, the researcher defines pain, its causes, types and benefits. All this is followed by a discussion on a series of successive ideas through which the

*** **

المقدمة

الحمد لله القائل " مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا " ¹، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله القائل " (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) " ²، وبعد
فقد سجل لنا التاريخ في صفحاته أروع المواقف التي ظهرت فيها معاني الصدق بكل تجلياتها، والإخلاص في أبهى صوره، وقصة كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه وتخلفه عن غزوة تبوك تعد نموذجا من نماذج الصدق في أعظم صوره، ومنارة شامخة عبر العصور.

وقد بث لنا كعب بن مالك رضي الله عنه معاناته التي قاربت الخمسين يوما بأسلوب تجلى فيه طهارة القلوب من الذنوب بتوبة نصوح، وتقوى وإيمان راسخ، وصدق مع الله ورسوله، ولجوء إلى الله تعالى بالدعاء، والإنابة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

وتبدو أهمية الموضوع في أن قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تعد أسلوباً من أساليب التربية المؤثرة، فقد اشتملت القصة على أساليب مؤثرة وقوية في التربية من أهمها أسلوب الهجر الاجتماعي أو الحرمان الاجتماعي، وأسلوب المعاتبة، وأسلوب الاستثارة، وأسلوب القدوة، وأسلوب الثواب، وأسلوب التوجيه والإرشاد، وغير ذلك من الأساليب التي تضمنتها هذه القصة. ³

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب التي دفعت إلى هذه الدراسة ما يلي:

1/ الوقوف على أسباب تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن غزوة تبوك وعقوبة ذلك التخلف.

2/ معرفة السبب الحقيقي الذي به قبل الله توبة كعب بن مالك رضي الله عنه.

3/ معرفة أثر الذنب الذي ارتكبه كعب بن مالك رضي الله عنه إلى أن قبلت توبته،
لأخذ العظة والعبرة منها.

4/ كشف براعة كعب بن مالك في نقل الصورة المؤثرة للألم النفسي الذي لازمه إلى
أن قبل الله تعالى توبته.

5/ الوقوف على الأساليب البلاغية التي تضمنها حديث كعب بن مالك الأنصاري في
كشف جانب مؤلم من حياته رضي الله عنه وخاصة أساليب القسم النفي والقصر التي
حفل بها النص، والتركيز على أدوات معينة كالفاء وثم.

الدراسات السابقة

لا يوجد دراسة بلاغية سابقة تناولت حديث كعب بن مالك بطريقة تبرز الأساليب
البلاغية التي تضمنها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وكان لها دور بارز في كشف
صورة الألم النفسي الذي لازمه.

غير أنه يوجد دراسة أفادت منها هذه الدراسة وهي مقال عنوانه " (جمالية السرد في
الأدب الإسلامي القديم ، د. عبد السلام رباح، وهي عبارة عن مقال ركز فيه الكاتب على
جانب السرد بدون ذكر تفصيلات حول الأساليب البلاغية التي تضمنها النص.

حدود الدراسة

وستتناول هذه الدراسة حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك كما ورد
في صحيح البخاري، وستقوم هذه الدراسة على كشف وتجلية الطريقة التي استطاع بها
كعب بن مالك عرض معاناته، وإشراك المتلقي فيها من خلال الألفاظ والتراكيب والصور
وفق المنهج الأسلوب، وفيما سيتم التركيز على المستويات اللغوية والظواهر الأسلوبية،
ودورها في إبراز الألم النفسي الذي سيطر على كعب بن مالك آنذاك إلى أن أذن الله بقبول
توبته رضي الله عنه.

خطة البحث

وسيتم تقسيم البحث إلى مجموعة من الأفكار مرتبة حسب ورودها في النص يسبقها
تمهيد ويتلوها خاتمة على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة وفيها حديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة
ومخطط البحث.

ثانياً: تمهيد وسيتضمن ما يلي:

أ/ كعب بن مالك رضي الله عنه وغزوة تبوك

ب/ ماهية الألم، تعريف الألم، أسباب الألم، أنواع الألم، فوائد الألم.

ج/ تعريف بالصحابي كعب بن مالك والحديث عن غزوة تبوك

ثالثاً: صورة الألم النفسي في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك
وستجلي الدراسة تدرج الألم النفسي الذي عايشه كعب من بداياته وحتى وصل إلى
أقصى درجاته إلى أن أذن الله بقبول توبته رضي الله عنه في مجموعة أفكار مرتبة حسب
ورودها في الحديث وفق الآتي:

1/ الإقدام والإحجام في خوض المعركة

2/ الإيذاء النفسي من المعارف.

3/ التحضير النفسي لتبرير التخلف عن الجهاد.

4/ الإيذاء النفسي من الناس (الهجر الاجتماعي).

5/ إعراض الحاكم المسلم عنه (الرسول صلى الله عليه وسلم).

6/ إعراض الأقارب تلبية لأمر الدين (موقف أبي قتادة).

7/ استغلال النصارى له بالارتداد عن دينه.

8/ اعتزال الزوجة أقرب الناس إليه "المصدر العاطفي والوجداني والاستقرار الأسري".

9/ المدة الزمنية. خمسون ليلة.

10/ بشائر قبول التوبة وأثرها على كعب بن مالك رضي الله عنه.

11/ أثر قبول توبة كعب بن مالك على الناس.

12/ أثر قبول توبة كعب بن مالك على الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعا: الخاتمة وفيها ذكر لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

خامسا: المصادر والمراجع التي استدعتها الدراسة وأفادت منها.

تمهيد

أ: كعب بن مالك وغزوة تبوك

كعب بن مالك: وهو كعب بن مالك بن أبي كعب بن كعب بن القَيْن بن سواد بن
غنم بن كعب بن سلمه بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة الأنصاري السلمي، يكتى أبا
عبد الله - وقيل أبو بشير، أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة، من بين سلمه أيضاً شهد العقبة
في قول الجميع، وتخلف عن بدر، وشهد أحداً وما بعدها لما قدم إلى المدينة آخى الرسول

بينه وبين طلحة بن عبد الله، وقيل بين كعب والزبير ولم يتخلف عن الرسول إلا في غزوتي بدر وتبوك، أما بدر فلم يُعاتب الرسول فيها أحداً تخلف، للسرعة، وأما تبوك فتخلف عنها لشدة الحر. وكان من شعراء الرسول، وكان يخوف الأعداء بالحرب، قال ابن سيرين: بلغني أن دوساً إنما أسلمت فرقاً (خوفاً) من قول كعب بن مالك: فقالت دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف، قال البغوي بلغني أنه مات بالشام في خلافة معاوية، وروى الواقدي أنه مات سنة خمسين، وعن الهيثم بن عدي أنه مات سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين⁴

غزوة تبوك

هي الغزوة التي خرج الرسول صلى الله عليه وسلم لها في رجب من عام 9 هـ بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر، وتُعد غزوة تبوك هي آخر الغزوات التي خاضها الرسول عليه الصلاة والسلام. بدأت تداعيات تلك الغزوة عندما قرر الرومان إنهاء القوة الإسلامية التي أخذت تهدد الكيان الروماني المسيطر على المنطقة؛ فخرجت جيوش الروم بقوى رومانية وعربية تقدر بأربعين ألف مقاتل قابلها ثلاثين ألف من الجيش الإسلامي. انتهت المعركة بلا صدام أو قتال لأن الجيش الروماني تشتت وتبدد في البلاد خوفاً من المواجهة؛ مما رسم تغيرات عسكرية في المنطقة، جعلت حلفاء الروم يتخلون عنها ويحالفون العرب كقوة أولى في المنطقة. لذلك، حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين أثروا الفرار شملاً فحققوا انتصاراً للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم، وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم كتاباً يحدد ما لهم وما عليهم، [2] وقد عاتب القرآن الكريم من تخلف عن تلك الغزوة عتاباً شديداً، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بأن الله حث على الخروج فيها -وعاتب وعاقب من تخلف عنها⁵.

ثالثاً: تعريف الألم، أسباب الألم، أنواع الألم، فوائد الألم

تعريف الألم:

يعرّف أهل اللغة الألم بأنه الوجع⁶، أما عند الفلاسفة فهو «حالة نفسية يصعب تعريفها، وتتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو بالضيق أو بالمضض»⁷. ويرجع

السر في تعريف حالة الألم إلى كون الألم إحساساً شخصياً إلى حد كبير، فالإصابة مثلاً التي تسبب ألماً حاداً لأحد الأشخاص قد تسبب ألماً أخف لشخص آخر.⁸ وأحياناً يكون الألم عند بعض الناس متضخماً، فيبدو أكبر من أسبابه،⁹ والألم في الطب «إحساس مرهق يتسبب عن تنبيه نهايات عصبية ميكروسكوبية تختلف عن سواها من النهايات الحساسة بكونها عارية»¹⁰.

أسباب الألم:

تتنوع أسباب الألم فبعضها بدني مادي، والآخر نفسي. أما الأسباب الجسمية المادية فنحو: الجوع، والعطش، والجروح، والحروق.... إلخ. والأسباب النفسية مثل: القلق، والهيم، والمخاوف... إلخ.¹¹ والناس عادة ما يقرنون الألم بالإصابات البدنية أو المرض متناسين أن الأحاسيس أو العواطف يمكن أن تسبب ألماً أيضاً، فالإزعاج . على سبيل المثال . يمكن أن يسبب توتراً مؤلماً في عضلات الرقبة.¹²

وأحياناً تبدو بعض الآلام مجهولة السبب، مثل: الألم العصبي، والألم العضلي للالتهاب الدماغى النخاعي.¹³

ولا شك أن تحديد سبب الألم ومعرفة مصدره بدقة من الأمور الضرورية لعلاج الألم أو الوقاية منه مستقبلاً، وإن كان يصعب أحياناً تحديد مصدر الألم، وأحياناً يلتبس على المريض تحديده، فالمريض مثلاً بالذبحة الصدرية لا يشعر بالألم في قلبه، بل يشعر به في ذراعه اليمنى أو في رقبته أو مقدم صدره.¹⁴ وهذه الآلام المجهولة السبب أو المصدر من أخطر أنواع الآلام فقد تتحول إلى آلام مزمنة تهدد راحة الإنسان زمناً طويلاً.

أنواع الألم:

تتنوع الآلام حسب شدتها أو ضعفها، وكذلك حسب مدتها الزمنية.

(أ) أنواع الآلام حسب الشدة والضعف:

تنقسم الآلام حسب شدتها وضعفها إلى آلام ضعيفة، وآلام متوسطة، وأخرى حادة

(ب) أنواعها من حيث المدة الزمنية:

تنقسم الآلام حسب المدة الزمنية إلى آلام قصيرة الأجل، وهذه تزول بمجرد زوال السبب أو المؤثر، وغالباً ما تكون حادة¹⁵، وآلام مزمنة تدوم وقتاً طويلاً وتعاود صاحبها كل فترة زمنية. وهذا النوع الأخير من الآلام يعد من أخطر أنواع الآلام، وذلك لأنه يصعب علاجه بصورة نهائية.

ويدخل المريض الذي يعاني من هذه الآلام المزمنة في دوامة ودائرة متصلة من الآلام، فتوقعه للآلام وانتظاره لها يسبب له آلاماً نفسية ريثما تعاوده الآلام المزمنة مرة أخرى، وهكذا تصبح حياته عبارة عن سلسلة من الآلام المتصلة يسلم بعضها إلى بعض.

فوائد الألم:

إن الحديث عن فوائد الألم متشعب، وذلك أن فوائد الألم متنوعة، بعضها مادي، وبعضها نفسي معنوي، وبعضها يتحقق للفرد، وبعضها يتحقق للجماعة أو الأمة. وأبرز هذه الفوائد:

1 - الألم ذو فائدة بيولوجية ، فهو بالرغم من أنه إحساس غير مرغوب فيه يشبه ناقوس الخطر، ويؤدي إلى أعمال عصبية انعكاسية تهدف إلى حماية الجسم من المؤثر الخارجي أو الداخلي الذي قد يتلف الأنسجة، فضلاً عن أن الألم يجبر الإنسان على الراحة وعلى استشارة الطبيب، مما لا يترك الفرصة للمرض حتى يستفحل وحينئذ يصعب علاجه¹⁶.

فبذا يكون الألم وقاية للإنسان من آلام أكبر. هذا بالنسبة للألم المادي. وكذلك الحال بالنسبة للألم النفسي، فإن الألم النفسي الناشئ عن خوف العبد من عذاب الله يقيه من وقوع العذاب الأليم به في الدنيا أو الآخرة، ومن ثم فإننا نرى أن العذاب وُصف بكلمة (أليم) في القرآن الكريم في اثنين وسبعين موضعاً¹⁷.

2 - الألم ذو فائدة دينية عظيمة، فهو ابتلاء، والابتلاء مع الصبر نعمة تستوجب الشكر، فيطهر الله به الإنسان من الآثام والذنوب، بل إن الله إذا أحب عبداً واصطفاه ابتلاه، وأشد الناس بلاءً هم الأنبياء، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»¹⁸.

3 - الآلام قد تصحح مسار المسلم، وتفيقه من غفوته، فيرجع عن سالف عهده من الذنوب والمخالفات، فمن رحمة الله أنه جعل الآلام نذيراً لخطر داهم وعقوبة شديدة. فإذا أفاق العبد وتضرع إلى الله رفع عنه الضر. قال - سبحانه : {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ}¹⁹

4 - الألم قرين الإحساس، والإحساس آية الحياة، ولا يمكن أن تُتصور حياة خالية من الإحساس، فأنا أتألم إذاً أنا موجود. فمن أراد أن يعيش بلا ألم ومعاناة فقد اختار لنفسه الموت لا الحياة، فأنا موجود إذاً لا بد أن أتألم، وقد خلق الإنسان في كبد ونصب.

5 - الآلام تربي فينا نعمة الإحساس بالآخرين، فنقدم لهم يد العون والمساعدة، فيتحقق بذلك التكافل الاجتماعي فالغني يتألم للفقير فتكون الصدقة والزكاة، والمقتدر يتألم للمعوزين فتكون المشروعات الخيرية، والقوي يتألم للضعيف فيكون العون والمساعدة، والعالم أو المخترع يتألم لمأساة مجتمعه ومعاناته فتكون الاختراعات والاكتشافات العلمية، وهكذا.

6 - الآلام تقوي العزيمة والإرادة، وتثبت دعائم الرجولة الحقة، فيكتسب المسلم حصانة من آلام الحياة، ويستمد من مقاومتها قوة وصلابة يستطيع بها مواجهة صعوبات الحياة وظروفها القاسية، فألم الإخفاق يبصر صاحبه بطريق النجاح، وألم القهر والتسلط يدفع صاحبه إلى البحث عن طريق الحرية، وألم الندم على المعصية يقود إلى لذة الطاعة، وألم الفقر يخطو بصاحبه صوب الغنى والثراء. ولا غرو إذا علمنا أن الأعمال الشاقة تزيد المرء قوة وقدرة على تحمل الأعباء.

7. تسهم الآلام في صنع مستقبل الشعوب وقيام حضاراتها فكثير من الأمم عانت آلام التخلف والفضوى رداً من الزمان، فما كان منها إلا أن تحسست خطاها نحو العلم والحضارة.²⁰

صور الألم النفسي في حديث كعب بن مالك في غزوة تبوك.

غزوة تبوك تعرف أيضاً بغزوة العسرة، لأن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا يعيشون في ذلك الوقت في أشد الظروف وأصعبها. والقصة كاملة تروى أحداثها من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه في باب المغازي ويستهلها بإقراره رضي الله عنه أنه لم يتخلف إلا عن غزوة بدر وعن هذه الغزوة، فيقول: "ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها؛ وهذا يعني أنه رضي الله عنه كان من الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة، وأنه كان يفتخر بموقفه ذلك، ويرى أنه لا يقل عن شهوده لغزوة بدر. يبدأ الصحابي الجليل كعب رضي الله عنه في بيان تفاصيل هذه القصة، ويعترف بأنه لا عذر له في تخلفه، لأنه كان يملك الزاد والراحلة، فيقول: "وكان من خبري

حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة". ويتحدث عن الشدة التي كان يعاني منها الصحابة الكرام في زمن تلك الغزوة، فيقول: "فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً". ويستمر في ذكر أحداث القصة حتى يصل إلى موعد اللقاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته منتصراً من تبوك، ويتحدث عن اعتذار غيره من المتخلفين عن أسباب تخلفهم، وكيف كانوا يأتون بالحجج التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل منهم أعذارهم، بينما هو لم يعتذر كما اعتذر غيره، رغم أنه كان قادراً على صنع ذلك، قال: "فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسطحك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبي الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك". هكذا كان يتكلم رضي الله عنه بكل قوة وجراءة، لم يعتذر كما اعتذر غيره، ولم يُناقق كما ناقق الآخرون، إنما صدى بالحق، وجاء على ذكر الحقيقة كما هي، فجاء تصديق ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». وهنا تبدأ أول مراحل الابتلاء، تمثل ذلك في نصائح المحبين له من أقاربه وأصحابه، قال: "ونار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذره إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك"، نعم طلبوا منه أن يفعل كما فعل غيره، وحجتهم في ذلك أن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفيه، فكان من شدة إلحاحهم عليه أنه فكر في التراجع، قال: "فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي"، ولكن الله ثبت قلبه، وزاد من ثباته أنه تذكر أمراً في غاية الأهمية، قال: "ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالاً مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك... نعم إن وطأة هذا الأمر وشدته تقل مع وجود أقران مشاركين له فيه، فإن كان مثل هذا الأمر الذي حصل معه

قد حصل مع غيره فهذا يخفف عنه، خاصة إذا كان هؤلاء من المعروفين بصدقهم وصلاحهم، قال: "قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، فلما عرفهما وتبين له صلاحهما وصدقهما اطمأنت نفسه، وقلل هذا من شدة ألمه، حيث قال: "فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فبهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي". ثم كان الابتلاء الثاني المقاطعة، مقاطعة المجتمع له بكل فئاته، حيث نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم كافة المسلمين عن التعامل معهم، وكان ذلك شديدًا عليهم، وصف ذلك بقوله: "حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف"، واستمرت المقاطعة بكل ثقلها وآلامها خمسين يومًا، ذاق فيها كعبٌ وأصحابه من المصاعب ما ذاقوا، عبر عن بعض ذلك فقال: "فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني". وهكذا تستمر القصة ليلاليها الطويلة، اضطروا فيها إلى ضرورة الانعزال عن الناس، لأنه أخف عليهم، قال: "حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام". ويزداد الألم حتى أصبح كعب يشك في نفسه، فيبحث عن إجابات يدحض بها هذا الشك عن نفسه عند أعز الناس عليه -ابن عمه أبي قتادة- ولكن أحدًا من المسلمين لا يمكنه أن يخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله رسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار". وبعد هذه المقابلة الصعبة، وعقب هذا اللقاء القاسي المير مع أبي قتادة، جاءه الابتلاء الثالث، الذي عبر عنه بقوله: "وبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاني فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدارهوان، ولا مضبعة، فالحق بنا نواسك". نعم لقد استغل ملك غسان هذه الظروف التي يمر فيها كعب، لأنه يعلم أبعاد مثل هذا الطلب، ويعلم ما يعنيه استمالة قلبه في هذه الحالة، فكعبٌ له مكانته في المجتمع، إذ معروفًا بشعره

ومكانته، ويعلم كذلك أثر ذلك في شق صف المسلمين ولذلك كان ملك غسان شديد الحرص على ذلك. لو حصل مثل الأمر في زماننا لعدّه الكثيرون مخرجًا وفرجًا له، واعتبروه نصرًا يخرجهم من الضيق والألم إلى أوسع أبواب العزة، ولكن هذا يحصل عند غير المؤمن، الذي يعلم علم اليقين أن الدنيا بكل ما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضه، وأن أي حل يأتي في غير طاعة الله تعالى ورضوانه، إنما هو الخسران بعينه، والخيبة بكل معانيها، فكان هذا الكتاب بالنسبة إلى كعب بمثابة الابتلاء، حيث قال: "فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء فتياامت بها التنور فسجرتها بها". نعم، حرق كعب بن مالك ذلك الكتاب ولم يندم، حرقه وهو يعلم أنه من ملك غسان نفسه، وهو ما يعني في زماننا الجنسية أو اللجوء السياسي، حرق الكتاب في التنور وهو يعلم أن فيه سبب نجاة لو أراد، حرقه وهو يعلم أن فيه ما ينسيه الألم الذي هو فيه، ولكن كعبًا لم يكن يسأل عن دنيا يصيبها، أو عن مكانة يتطلع إليها في هذه الدنيا الفانية. نعم! لا غربة في هذا، فالمؤمن حين يخالط الإيمان بشاشة قلبه يسمو هدفه، وتشمخ نفسه، وتصبح عنده الدنيا بكل ما فيها مجرد أوهام لا يمكنها أن تجذب قلبه أو تحرفه عن حب الله تعالى أو حب رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم يأتي بعد ذلك الفرج، يأتي بعد التأكد من ثباتهم على العهد، وبعد مقاومتهم وصبرهم على كل أنواع الابتلاءات التي تعرضوا لها، قال كعب: "فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر". رضي الله عنك وعن أصحابك يا كعب، لقد ضربتم بثباتكم وصمودكم أروع النماذج على صدق الإيمان، وعلى صحة اليقين وحسن التوكل على الله، فكانت تجربتكم من أروع التجارب، وصمودكم من أعظم أنماط الصمود، فقال معبرًا عن فرحته بتوبة الله عليه: "فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج"، قال: "فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرسًا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني فزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت

أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئونني بالتوبة، ويقولون: لِيُهِنَنَّكَ توبة الله عليك حتى دخلت المسجد"²¹

*الإقدام والإحجام في خوض المعركة.

لقد استفتح كعب بن مالك رضي الله عنه حديثه بأساليب القصر وطرقة المتناثرة في النص

لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك" غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش. أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق

وجمال القصر يكمن في قوته، لأن تمكين الكلام وتقديره في الذهن لا يكون إلا بكلام قوي في السبك والتأثير²²

ولعل في هذا الأسلوب ما نستشف منه الألم النفسي والتحسر والندم الذي عايشه كعب بن مالك رضي الله عنه ليلة ونهاره مما دفعه إلى تبرير موقفه من التخلف عن تلك الغزوة العظيمة بأساليب فيها من التوكيد والقوة التي لا تدع مجالاً للشك في إيمان كعب بن مالك وإخلاصه لدينه ونبيه صلى الله عليه وسلم.

ويسترسل كعب بن مالك رضي الله عنه قصته بأسلوب توكيدي متين نستشف منه حجم المعاناة التي كانت تعترض قلبه ليلاً ونهاراً.

ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام

وما أحب أن لي بها مشهد بدروان كانت بدر أذكر في الناس منها أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة

ليضع مُتَلَقِّي خطابِهِ في موقع مَن يرى سَرِيرَتَهُ وطَوَايَاهُ؛ فكَأَنَّهُ يُقَدِّمُ شَهَادَةَ تَعَصُّمِهِ مَن أن يَهْتَمُّ في دينه وصدِّقِ طَوَيَّتِهِ ذلك لأنه إذا لم يَشْهَدْ غَزْوَةً كانت فاصِلَةً بين الكفر والإيمان، وكان لها الدور الكبير في نفث استِشعار مَعِيَّةِ الله - تعالى - في نفوس المسلمين ودَخْرِ جيوش الكفر وتمزيقها كُلَّ مُمَزَّقٍ، ولم يُعَاتَبْ، كما لم يُعَاتَبْ غَيْرُهُ، فإن الأمر يبدو أن فيه مُتَسَعًّا يعيش المسلم منه رِخاءً، فإن أَرَادَ الالتِحاقَ بالمُجَاهِدِينَ التَّحَقُّقَ وإن لم يُرِدْ فإن الأمر طَوَّعُ يَمِينِهِ²³

ومن جانب آخر نستشعر صدق كعب بن مالك رضي الله عنه في أسلوبه القسم والتوكيد حين أورد أنه لم يمنعه من المشاركة في تلك الغزوة ضعف ولا مرض ولا قلة في المال والعتاد فقد كان يملك وقتها راحلتين لم يملكهما قبل تلك الغزوة (أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة).

(لقد كان من الممكن أن يُورِيَّ صاحبُ الحادثة فيدَّعي عَارِضًا، ويُقدِّم بين يدي نجواه عذرًا، ولو كان بَسِيطًا يتلقَّف فيه، فيَقِي نفسه من كلِّ التَّهم التي لن يكون بمنجاة منها، إلَّا أَنَّهُ أبى إلَّا أن يكون من الصادقين؛ فحالُه كُلُّها مُيسَّرة، ووضعُه الاجتماعي مُريح، وإذا تخلَّف عن المشاركة في الجهاد فإنه لن يفعل إلَّا بداعي التهاون والكسل في أحسن الأحوال).²⁴

ومع ذلك فقد وصف الحال التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش الإسلامي، فقد اجتمع عليهم الحر الشديد والسفر البعيد والعدو الكثير، "ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلَّا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا" الأمر الذي يُمكن المرء في المجتمع الإسلامي أن يتخلَّف عن أمر جامع من غير أن يُلام؛ "فما رجل يريد أن يتغيَّب إلَّا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله" وهو ما دفع بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يجلي ويكشف للمسلمين وجهته على غير عادته صلى الله عليه وسلم "فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير"

إن جماليَّة الوصف تتجلى بوضوح في هذا النص حين تتصارع الرغبات في النفوس والامتنال لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالغزوة كانت في الحرِّ الشَّدِيد، وكانت "حينَ طابَت النِّمَار والظِّلَال"، فيرحل المجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلَّا كعب بن مالك فقد منعه التسويف فأخذ يَمَيِّ نفسه بأن يقضي جهازه غدوة، حتى إذا كانت الغداة لم يفعل، واستجاب لأمر الرغبات؛ "فطفقت أغدو لكي أنجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا

فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً "

لقد جسد النص صورة الإقدام والإحجام التي كانت تتصارع في نفس كعب بن مالك رضي الله عنه امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم من جانب وتسويفاً وتكاسلاً من جانب آخر. فكعب بن مالك قد شرع في التجهز بلا أدنى شك ويبدو ذلك من إثارة كعب للفتنة طفق التي تعني الشروع في أول الأمر²⁵

"لقد كان له بستان أو حائط، وقد أجمع النبي صلى الله عليه وسلم على الغزو، فكان يذهب إلى البستان وينظر هل أينعت ثمرته فيقطعها قبل أن يغزو أم لا، فما زال يروح ويعيء، وكان قد جهز راحلتين قبل الغزو، وهذا مما يبين أنه جاد في أن يغزو، لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه خرجوا إلى الغزو وهو يقول: غداً أقطف الثمر، فيذهب غداً فيقول: بعد غد حتى يطيب، ثم يقول: أنا قادر على اللحاق بهم إن أردت؛ لأن معه راحلة قوية، فما زال يمضي نفسه أنه سيدركهم، حتى تفارط الغزو، وأيقن أنه لن يدركهم"²⁶

وفي إثارة أداة العطف الفاء والتي تفيد الترتيب والتعقيب²⁷ فطفقت، فأرجع، فأقول، فلم، فقلت، فغدوت، فرجعت" ثم في إثارة الأفعال التي توحى بالتراجع والتخاذل "أرجع، فرجعت، ثم رجعت " " إضافة إلى أداة العطف ثم التي تفيد التراخي²⁸ ثم ألحقهم، ثم غدوت، ثم رجعت "ما ينقل لنا صورة التكاسل التي أصابت كعب آنذاك.

((حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء))

وحين يصف كعب حاله نادماً ولانتما نفسه بعد أن فصل الجيش راجعاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لم يدركهم ولم يلحق بهم، وكيف كان يمضي نفسه أن كان معهم في تلك الغزوة، وكيف سيكون عذره أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل تلك المشاعر قد تصارعت في نفس كعب بن مالك وقتها وبدأت واضحة من منطوقه رضي الله عنه، ففي إثارة للفتنة "تفارط" للتعبير عن عودة الجيش الإسلامي بصحبة نبي الأمة عليه الصلاة والسلام ما يوحي بالندم والتحسر على شيء فات فقوله "تفارط الغزو" أي فات وقته، وفرط في الأمر يفرط فرطاً أي قصر فيه وضعه حتى فات²⁹.

فما كان منه إلا أنه أعقب هذا الشعور بمحاولة لإدراك الجيش "فأدركهم" وليته فعل على حد قوله ولكن لم يُقدّر له اللّحاق بهم، ، فأصبح في حال من الحزن والكمد والمشقة النفسية: " ذلك لأنه بعد أن فصلت جموع المجاهدين صار كعبٌ يُقارن بين كونه معهم وبين الحال التي هو عليها، فحتى لو كان يتّقي حرّ الهجير وسطوة لظى القيظ والوعى بإخلاده إلى الأرض، وانشداؤه إلى نعيم الله الموسمية، فإنه غدا يعيش همًّا وضنكًا بوجوده بين مَنْ يكره أن يكون بينهم³⁰ وهو ما يصفه بقوله: "فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطُفْتُ فيهم، أحزّني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممّن عذر الله من الضعفاء"

(إلا أن المشقة لن تبقى في تلك الحدود، وإنما ستزداد حدتها بقُفُول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحو المدينة، فاستحضر كعبٌ كلّ ما يحمله المستقبل في رَجَم الأيام المُقيلة، واستحضر معه صعوبة اللّقي مع الرسول الكريم، واستحضر حرارة العيون والنظرات اللافحة التي لن تكون رجيمة به أبداً³¹

واستحضر كعبٌ كل ذلك فقال: "فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرنى همي وطُفْتُ أتذكرُ الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت على ذلك بكلّ ذي رأيٍ من أهلي"

وحين دقت ساعة الصفر وبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع المدينة، تجسّد له الهم في صورة تشخيصية ملازمة له تؤنبه وتوبخه " حضرنى همي" من الحضور والمثول وفيه مبالغة في سيطرة الهم على نفس كعب، فمثل الهم أمامه شخصا يؤنبه ويوبخه وبأسلوب استفهامي توبيخي " بماذا أخرج من سخطه غدا؟" باحثاً عن عذريته به أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومستعينا بكل ذي رأي من أهله وقرابته، ومع كل ذلك وما سيتحمله من عواقب فقد عاهد نفسه أن يصدق في حديثه حين يمثل أم الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة تشخيصية أخرى حين قال " زاح عني الباطل والمعنى: زال عني وذهب"³² فبدا له الباطل وهو محاولة الكذب والذي كان ملازماً له في صورة شخص قد ذهب عنه وتركه يواجه الرسول صلى الله عليه وسلم، مؤكداً نفيه المؤيد أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو بشيء يسير، "وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه"³³.

*الإيذاء النفسي من معارفه

ويتعرض كعب بن مالك رضي الله عنه لنوع من الإيذاء النفسي لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فسأل عن كعب بن مالك رضي الله عنه بسؤال حقيقي الهدف منه معرفة سبب تغيب كعب عن غزوة تبوك "ما فعل كعب؟" فجاء الرد المؤلم من أحد معارفه من بني سلمة "حبسه برداه ونظره في عطفه" لأنه كان رجلاً أميراً، فإذا لبس شملة أو بردة تكبر فيها واختال ونظر إلى أكتافه من العجب، وهذا يدل على أن كعباً -رضي الله عنه- كان ممن له شأن، حيث ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن كان له شأن ومنزلة فإنه يُفقد، بخلاف أعمار الناس، وفي قوله "حبسه برداه ونظره في عطفه" كناية عن انشغاله بدينه وإعجابه بنفسه بالنظر في عطفه، يقول العسقلاني "وكني بذلك عن حسنه وبهجته، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عطفاً لوقوعه على عظمي الرجل" ³⁴

والبردان تطلق على الرداء والإزار، ونحو هذا، ويأتي الرد دفاعاً عن كعب من أخيه معاذ بن جبل رضي الله عنه مقسماً قسماً مؤكداً بسلامة سريرة كعب رضي الله عنه "بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم"

* التحضير النفسي لتبرير تخلفه عن الجهاد.

وهنا تأتي اللحظة الحاسمة وهي المواجهة والتحضير النفسي للبحث عن مبرر للتخلف عن تلك الغزوة العظيمة فيقف كعب-رضي الله عنه- بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يروي لنا الحادثة فيقول: "فجئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلقتك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً"

ففي قوله "تبسم تبسم المغضب" إحياء فعلي عن الغضب المعتمل في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الرضا، وقد كان الصحابة يقرءون تعابير وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- ويدركون المقصود منها غالباً.

ويصور كعب بن مالك الحوار الذي دار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد والذي تضمن أساليب تكشف حالة عدم الرضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على كعب حيث بدأ ذلك الحوار بصيغة الأمر "تعال"،

ثم في استجابة كعب لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أعقب الأمر مجيء فيه ثناقل من الهم والحزن الذي اعتصر قلبه آنذاك.

ويحاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في كثير من المواقف بأسلوب يعتمد فيه على إثارة عواطف إنسانية وانفعالات وجدانية، تترك أثراً فعالاً في الانقياد للسلوك الطيب والعمل الصالح، كالخوف والأمل والرغبة والرهبة³⁵

وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بسؤالين كان الغرض من أحدهما إقرار كعب بالخطأ الذي ارتكبه بتخلفه عن غزوة تبوك، والغرض من السؤال الآخر توبيخ كعب على تخلفه مع ما تيسر له من المال والعتاد " فقال لي: ما خلّفتك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟".

ويؤتى بأسلوب الاستفهام بغرض تقرير المخاطب بالخطأ الذي وقع فيه، فقد يقع أحد الصحابة في خطأ ما فيريد النبي أن يتأكد من حقيقة وقوعه فيه وسبب ذلك ليبين بعد ذلك حكمه، ولا يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب إلا مع أصحابه الذين يعلم صدق إيمانهم وبعدهم عن النفاق بل يحاورهم ويسألهم عن حقيقة تخلفهم وسببه، قال كعب بن مالك راوي القصة: فجئته فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّم المغضب، ثم قال: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟». وهذا الاستفهام التقريري يحمل أيضاً معاني التعجب والإنكار على المخاطب الذي لا شك في إيمانه وصدقه وليس له عذر في التخلف، حيث تيسر له ما يستطيع به المسير مع الرسول وأصحابه والقرينة على ذلك قول كعب (فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ)³⁶، ثم في الأسلوب الكنائي في قوله "ابتعت ظهرك" وهو كناية عن شراء الراحلة التي تحمله على ظهرها³⁷، وهذه الكناية توبيخية عن أن كعباً قد تهيأت له السبل بشراء الراحلة وتجهيز العدة للمشاركة في هذه الغزوة.

فما كان من كعب إلا الإقرار بعظم خطئه في أسلوب يحمل كل أساليب التوكيد والقسم في موقف استدعى كل هذه المؤكدات وذلك في العبارات التالية

بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر.

ولقد أعطيت جدلاً.

ولكني والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي.

ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر.

والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

كما أكد صدق موقفه في أسلوب كنائي حين قال " أعطيت جدلاً " كناية عن الفصاحة وقوة الكلام بحيث يخرج من عهدة ما ينسب إليه، ويسل نفسه كما تسل الشعرة من العجين.³⁸

إننا نراه في هذا المشهد وقد وازنَ بين قدراته التي إذا استندَ إليها مع أحدٍ من أهل الدنيا وجد فيها ضالته، فتحقق له الخروج من هذه الأزمة، إلا أنه أبدى استعداداً للاعتراف بتقاعسه عن المشاركة في الجهاد في الغزوة المذكورة، فنجدته يُصرِّح به تصريحاً لا تلميح فيه، فيقول: "لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك"³⁹

فاتضح لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقه رضي الله عنه فقال: «أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»

ثم يدخل كعب في صراع نفسي وابتلاء جديد يحاصره ممن لأمه من بني سلمه في عدم اعتذاره بعذرينجه من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فيذكر كعب أنه قد أوشك على أن يؤثّر عليه مثل هذا الرأي حتى اعترم تنفيذه، إلا أن حال صاحبيه وموقف الرسول الكريم منهما قد رده عن ذلك، ويقول في هذا: "فقمتم وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم رجلان قالوا مثل ما قلت فقلت لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي "

*الإيذاء النفسي من الناس (الهجر الاجتماعي)

وتتجلى أقوى صور الألم النفسي لدى كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم وعدم الحديث معهم حتى يقضي الله فيهم، وهو موقف الرسول المربي مع أصحابه، على وجه التأديب لهم، وهو هجر لمن يُظهر المنكرات فيهمجر حتى يتوب منها.

"لقد ظهر نجاح هذا الأسلوب الرائع الذي تميزت به القصة وذلك لتأثيره النفسي الرهيب على هؤلاء الثلاثة المخلفين، وكذلك تأثيره الاجتماعي عليهم حيث نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم والتعامل معهم حتى أقربائهم في مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية سواءً أكان في الأسواق، أو في المسجد، أو مع الأصدقاء والأقارب، أو في منزله"⁴⁰

يقول كعب "ونبى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد"

"إن العنتَ سينصرفَ لأنَّه يستقرُّ أساسًا في الجانب النفسي - وإنه لجانب خطر- من حياة كعبٍ ومن شملته الحادثة معه ، فينبى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كلامهم؛ فتضييق الدنيا بما حوت لأن تصير على شاكلة غنق زجاجة، وإنه لامتحان عسير، وهو ما يقول عنه كعب - رضي الله عنه -: "فتنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة" ، إلا أن كعبًا سيكون أخطر وضعًا من غيره من الثلاثة الذين خَلَفُوا؛ ذلك لأنه كان "أشبَّ القوم وأجلدهم"، فكان يشهد الصلاة مع المسلمين، ويَطُوف في الأسواق ولا يُكَلِّمه أحد، أمَّا الآخَران فقد بقيَا في بيتهما يبكيان"⁴¹

*إعراض الحاكم المسلم عنه (الرسول صلى الله عليه وسلم)

ويصور لنا كعب بن مالك شدة ألمه في صورتين دقيقتين أولاهما حين يصل به الأمر إلى أن يرقب شفقي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تحركتا ردا على سلامه؟، والثانية حين يصلي بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسارق كل واحد منهما الآخر نظره وقت الصلاة إقبالا وإعراضا، وكلها تمتعت في نفسه وصراعات يعيشها ليله ونهاره، ما

أعظمه من موقف وما أشده على نفس كعب حين يكون أول المقاطعين له نبي الأمة صلى الله عليه وسلم .

ويَصِفُ كَعْبُ هذا الأمر وصفًا أدبيًا رفيعًا -و الرجل شاعر- تتبين من خلالها الهزّة النفسيّة التي كان يعيشها؛ نظرًا لصدق إيمانه، وقوة رُسوخ عقيدته⁴² يقول كعب: "وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني"

*إعراض أقاربه عنه تلبية لأمر الدين. موقف أبي قتادة

ويشتد بكعب همه وحزنه من هجر المجتمع الإسلامي له ، ويسيطر عليه الهم ويكبله فيحاول تسلق جدار ابن عمه أبي قتادة بصعوبة شديدة ، وقد أوحى صيغة الفعل " تسوّرت " بهذه الشدة في موضعين " تسورت جدار حائط أبي قتادة " وتوليت حتى تسورت الجدار " ففي التسور تكرار وشدّة: يجعل الشيء يحيط بالكائن من جميع جوانبه ويفصله عما سواه بشكل قوي أو عالي أو ما شابه .⁴³

لعلّ الضنك يعرف حالات وأوضاعاً بعضها أخفّ من بعض، إلّا أن ما عاشه كعبٌ وصاحباؤه كان في بُحْبُوحَةِ الحصار من ذوي القربى الدينيّة والدّمويّة؛ فإذا كانت القطيعة من الناس جميعاً لها تأثيرها ذو الانعكاس غير المنكر، فإنها ستكون أشدّ وأنكى عليهم حين تُصدّر من ذوي قريابهم التّسبيّة،⁴⁴ ويدور حوار ولكنه من طرف واحد ، فيتوجه لابن عمه مسلماً عليه فلا يرد عليه السلام ويستحلفه بأسلوب يجمع بين القسم والتوكيد "أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله" ويكرر سؤاله عليه ثلاثاً فيرد عليه رداً مهماً "الله ورسوله أعلم"، وهو ما يَصِفُهُ كَعْبُ بقوله: "حتى إذا طالَ عليّ ذلك من جفوة الناس، مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ - فسَلَّمْتُ عليه، فوالله ما ردَّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم"

عندها تحاصر عينيه الدموع حزناً وكماً في صورة بيانية رفيعة " ففاضت عيني"، وهذا على سبيل المجاز إما بالحذف أي ففاضت دموع عينيه وفيه غرض بلاغي وهو إسناد

الفيضان للعنين مع أن الفيضان هو زيادة الماء على سعة الإناء تقول فاض النهر وفاض الحوض أي زاد الماء على سعته ففاض من الجوانب.

أو أن العين وهي المبصرة أصبحت ذات إحساس وفيضان، وهذا كله مبالغة في إظهار شدة حزن كعب وكمده التي سيطرت على كعب رضي الله عنه وأرضاه⁴⁵.

*استغلال النصارى له بالارتداد عن دينه.

صورة أخرى للألم النفسي الذي واجهه كعب رضي الله عنه في محنته حين تعرض لابتلاء في دينه ، حين أرسل له ملك غسان رسالة يدعوه فيها إلى ترك دينه بسبب هجر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون له غير أن صدق الإيمان كان له الدور الكبير في ثبات كعب وصاحبه في هذه المحنة، وسرعان ما أخذها وأحرقها منكرا ورافضا مضمون تلك الرسالة. وهذا واضح من ردة فعل كعب السريعة المتمثلة في العطف بين الجمل بفاء العطف المفيدة للترتيب والتعقيب " فتيمنت ، فسجرت بها " ، يقول كعب واصفا تلك المحنة " فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدارهوان ولا مضبيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيمنت بها التنور فسجرت بها"

"إن ملاح صدق إيمان كعب - رضي الله عنه - تراءى لنا من بين ثنايا إنكار هذا التصرف من لدن عدو المسلمين، وكأنه تبين من خلاله أن العدو يريد به أن يفرق جموعهم ويشتت صفوفهم، فأبى عليه دينه وإيمانه أن يكون ممن يتخذ وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الضرر للصف الإسلامي"⁴⁶

*اعتزال الزوجة أقرب الناس إليه "المصدر العاطفي والوجداني والاستقرار

الأسري"

وتتوالى الابتلاءات على كعب بن مالك رضي الله عنه فيأمره صلى الله عليه وسلم باعتزال أهله، ويسأل كعب عن ماهية هذا الاعتزال في سؤال استفهامي " أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقرها " ويبدو الالتزام والامتثال وسرعة الاستجابة لأمر رسول الله واضحة وجلية في هذا النص " فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر " في العطف بالفاء ، وياله من امتحان صعب فكل ما سبق

قويَّ على النفس، إلا أن هذا - ونعني به اعتزال الزوجة - أقوى، "وكلُّ ما قيل يعود إلى خارج الأسرة الصغيرة، ولن تكون له قيمة تُذكر حينما يُقارَن بأمور حاسمة في الحياة الزوجية والأولاد وبناء الأسرة، التي حَلَم بها كثيرًا قبل أن يأتي هذا الأمر الحاسم في إيقاف استمرارها إلى حين نزول القول الفصل"⁴⁷

*المدة الزمنية: خمسون ليلة

وردت المدة الزمنية "خمسين ليلة" والتي قضاها كعب بن مالك رضي الله عنه في الألم النفسي بسبب تخلفه عن غزوة تبوك العظمى ثلاث مرات في الحديث مما يدل على ثقل مرورها على كعب بن مالك رضي الله عنه

"حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين"، "فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا"، "فلما صليت صلاة الفجر أصبح خمسين ليلة"

*بشائر التوبة وأثرها على كعب بن مالك رضي الله عنه

وحين اشتدت الأزمة على كعب بن مالك رضي الله عنه، وضاحت عليه الأرض بما رحبت، وظن أنه لا ملجأ من الله إلا إليه جاءته بشائر قبول التوبة من الله تعالى عليه. ويصف كعب بن مالك رضي الله عنه حاله قبل مجيء البشيرة بقبول توبته رضي الله عنه فيقول " فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ "

وضيق النفس: استعارة للغم والحزن لأن الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق. ولذلك يقال للمحزون: ضاق صدره، وللمسرور شرح صدره.⁴⁸

وضيق الأرض: استعارة، أي حتى كانت الأرض كالضيقة عليهم، أي عندهم. وذلك التشبيه كناية عن غمهم وتنكر المسلمين لهم. فالمعنى أنهم تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة⁴⁹

وقوله " بما رحبت " أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم وعدم مجالستهم ومحادثتهم لهم لأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بذلك وهو مثل لشدة الحيرة. وفي هذه الأثناء وبينما هو على هذه الحالة من الهم والغم جاءه البشير حاملاً معه أعظم بشارة بعد عناء خمسين يوماً كانت مثقلة بالهم والغم والحرمان، فإذا المبشر بأعلى

صوته مناديا "يا كعب بن مالك ابشر" وفي أسلوب البشرى ما يوحي بأن كل من كان حول كعب بن مالك يتقرب هذه اللحظة، فما كان من كعب إلا أن خرساجدا "فخررت " ومعنى خر معناها هوى من علو إلى أسفل⁵⁰

وقد أوحى هذه الصيغة أن كعب بن مالك حالما سمع المنادي هوى على الأرض ساجدا لله فسقط معه كل هم وغم كان جاثما على صدره خمسين يوما.

وقد صور كعب بن مالك تهافت الناس إليه يبشرونه بتوبة الله عليه "فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرِحًا ، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ إِلَيَّ مِنَ الْفَرَسِ"

وقد استخدم كعب بن مالك في وصفه ألفاظا أوحى بأن المدينة كانت في سكون وهدوء شديدين والناس قد ألمها ما أصاب كعب بن مالك من بلاء، وسرعان ما أذن الله تعالى بتوبته عليهم دب حراك في المدينة فرحا بتوبة الله تعالى على كعب وصاحبيه، ويبدو ذلك واضحا من خلال الأساليب والصيغ التي استخدمها كعب بن مالك في وصفه للحدث " ومنها "صوت صارخ، يا كعب، ابشر، ذهب الناس، ركض رجل ،سعى ساعٍ ، أوفى ،الصوت أسرع من الفرس ، انطلقت "

ودبت الحياة والحركة في المدينة، فكان من تجليات فرحة الصحابي الجليل بتوبة الله تعالى عليه أن نزع ثوبه الذي لا يملك غيره للمبشر، والنزع فيه اقتلاع بشدة، فكانه نزع معه كل ألم نفسي كان ملازما له إلى أن تاب الله عليه.

وقد أوحى صيغة التذكير المفيدة للعموم بمدى تكاتف المجتمع الإسلامي في المدينة " صارخ، ركض رجلٌ، سعى ساعٍ، فالصارخ والراكض والساعي لا يعرفهم كعب بن مالك ومع ذلك فقد حزنوا لحزنه وفرحوا لفرحه رضي الله عنه.

إن الليل مهما تَمَادَى طَوْلًا وحلَكة فإنه يَبْقَى بعده فَرَجٌ ، وهو ما عاشَهُ كعبٌ - رضي الله عنه - فبعد أن ضاقتْ به وبأصحابه الأرض بما رَحُبَتْ، وعاشَ القَطِيعَةُ كُلُّ أَشْكَالِهَا، وَهَيَمَنَ عليه الضنك والسخط الممتجن لأغوار قناعاته وإيمانه والتزامه بالخضوع لأمر الله ورسوله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - يأتي البشير الذي يزفُّ إليه البشرى بقبول توبته إلى الله، فتتهدَّم بمجرَّد الإعلان عنها كُلُّ الحواجز التي مَثَلَتْ لديه قبل قطيعة، وعاشَ من خلالها أشدَّ أيامه مرارةً، فتَعُودَ الحال إلى ما كانت عليه، وَيَعُودَ إلى الصَفِّ والجماعة بعد أن

لَفِظَهُ الصَّفُّ تَأْدِيًّا وَمَوْعِظَةً، فَيَفْرَحُ بِهَا كَمَا تَفْرَحُ الْأُمُّ بِنَجَاةِ وَلَدِهَا، أَوْ بَعُودَةِ ابْنِهَا الضَّائِعِ.⁵¹

• أثر توبة كعب بن مالك على الناس

ويصور كعب بن مالك أثر توبة الله تعالى عليه على الناس والمجتمع المسلم آنذاك، فإذا بالناس أفواجا مبشرين ومهنئين يقول كعب " فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك"

غير أن الموقف الذي لن ينساه كعب بن مالك هو قيام طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه - وكان من المهاجرين- لكعب مصافحا ومهنئا ، يقول كعب "حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة"

• أثر توبة كعب بن مالك على الرسول صلى الله عليه وسلم

ثم يصور كعب بن مالك موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دخل عليه كعب في المسجد يقول كعب "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"

فقد شبه كعب وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبرق في اللمعان والاستنارة، ثم شبهه بالقمر في الاستنارة صلوات ربي وسلامه عليه فرحة بتوبة الله على كعب بن مالك رضي الله عنه، يقول كعب مستفهما ليتأكد من مصدر التوبة حتى ترتاح نفسه وتطيب "أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه"

الخاتمة وأهم النتائج

تحدث الصحابي الجليل كعب بن مالك عن محنته التي تجرع مرارتها المتمثلة في إقصائه وانعزاله عن بؤرة المجتمع الإسلامي، واستحقاقه للمقاطعة التي توصله إلى أشد حالات المرارة والصعوبة، فكان تأديبا وإيقاظا لمشاعر النفس وتحريكا لخلجاتها، وإثارة لانفعالاتها، ورجوعا للمسيء عن إساءته أو ذنبه. في أسلوب حيوي جعل المتلقي يعيش أجواء الحادثة بكل ما تحمله من آلام ومعاناة ومرارة آنذاك.

وفي نهاية المطاف يجدر بهذه الدراسة أن تسجل أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

- 1/ تعد قصة كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه وتخلفه عن غزوة تبوك نموذجاً من نماذج الصدق في أعظم صوره، ومنازة شامخة عبر العصور.
- 2/ اشتملت القصة على أساليب مؤثرة وقوية في التربية من أهمها أسلوب الهجر الاجتماعي أو الحرمان الاجتماعي، وأسلوب المعاناة، وأسلوب الاستثارة، وأسلوب القدوة، وأسلوب الثواب، وأسلوب التوجيه والإرشاد
- 3/ يبدو جمال القصر في تمكين الكلام وتقديره في الذهن، فقد حفل حديث كعب بن مالك بجملة من مواضع القصر، ولعل في هذا الأسلوب ما نستشف منه الألم النفسي والتحسر والندم الذي عايشه كعب بن مالك رضي الله عنه، إضافة إلى إيحائه بالانحصار كعب في مواقف نفسية مؤلمة ما إن يدخل في دائرة مؤلمة حتى يلج دائرة أخرى مؤلمة فبدت تحاصره الآلام والهموم من كل مكان.
- 4/ تتجلى جماليّة الوصف بوضوح في هذا النص حين تتصارع الرغبات في النفوس والامتثال لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان للتضاد دور بارز في إبراز هذا الجانب.
- 5/ كان لاستخدام أداتي العطف "الفاء وثم" والأفعال التي توحى بالتراجع والتخاذل ينقل لنا صورة التكاسل التي أصابت كعب آنذاك.
- 6/ كان للحوار دور بارز في إثارة العواطف الإنسانية والانفعالات الوجدانية، والتي تترك أثراً فعالاً في الانقياد للسلوك الطيب والعمل الصالح.
- 7/ لعب التصوير الفني في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه دوراً بارزاً في تجلية الهزّة النفسيّة التي كان يعيشها رضي الله عنه.
- 8/ كان لأسلوب التكرار حضور في نص كعب بن مالك، مما عكس صراعاً داخلياً في نفس كعب رضي الله عنه.
- 9/ أوحى صيغة التنكير المفيدة للعموم بمدى تكاتف المجتمع الإسلامي في المدينة، وتمثل ذلك في بعض الألفاظ نحو "صارخ، ركض رجل، سعى ساع".
- 10/ انتقى كعب بن مالك ألفاظه وفقاً للمواقف التي مر بها، ففي بداية الأزمة استخدم ألفاظاً قوية شديدة، وفي نهاية الأزمة أصبحت الألفاظ سهلة لينة تعبر عن انزياح الهم وانكشاف الغمة.

¹ الأحزاب 23

² صحيح البخاري - كتاب الشهادات حديث رقم (2509) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: 1414 هـ / 1993 م

³ انظر: أحمد محمد جمال القصص الرمزي في القرآن يروت: دار الكتاب العربي ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص 126

⁴ نظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: طه الزبيدي (القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٣٩٦ هـ (٣٠٥، ٧/٣٠٤ وأنظر: عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري. أسد الغاية في معرفة الصحابة) بيروت: دار الفكر العربي للطباعة والنشر د.ت (١٨٨، ٤/١٨٧) وانظر: يوسف بن عبد الله بن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب) بيروت: دار الجيل ط ١٤٢١ هـ (١٣٢٥-١٣٢٣/ وأنظر محمد باهن أحمد الذهبي. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة ط ١٤٠١ هـ

⁵ السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، (176/4)، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، سنة النشر: 1424 هـ / 2003 م، ج 7/ 170-171.

⁶ المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (436/1).

⁷ المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية ببولاق، 1979 م، ص 2

⁸ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1996 م، طبعة أولى، 581/2.

⁹ المعجم الكبير (436/1).

¹⁰ المعجم الكبير (437/1).

¹¹ (6) المعجم الكبير (436/1، 437).

¹² الموسوعة العربية العالمية (581/2).

¹³ الموسوعة العربية العالمية (582/2).

¹⁴ الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، طبعة أولى، 1965 م، (208/1)

¹⁵ الموسوعة العربية العالمية (581/2).

¹⁶ الموسوعة العربية الميسرة (208/1).

¹⁷ انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 47، 49.

¹⁸ الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق كمال يوسف الحوت، كتاب الزهد، باب (ما جاء في الصبر على البلاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، (520/4).

¹⁹ الأعراف: 94

²⁰ انظر: نعمة الأمل للكاتب سعد بن زيد آل محمود، تاريخ النشر: 27 شوال 1428 (2007-11-08)،

<http://midad.com>

- ²¹ صحيح البخاري، باب المغازي، باب حديث كعب بن مالك. 4156/4
- ²² تجليات الجمال في أسلوب القصر، د. عبد الرحيم محمد الهبيل، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ص 973-ص 990 يونيو 2011
- ²³ جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم، شبكة الألوكة، د. عبدالسلام رياح، www.alukah.net.
- ²⁴ المرجع السابق
- ²⁵ انظر التفسير الكبير الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني، دار الكتب العلمية ببيرو، 2004م - 1425هـ
- ص 109
- ²⁶ دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني المؤلف: أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف <http://www.islamweb.net>
- ²⁷ [سيبويه: 304/2]: «والفاء، وهي تضم الشيء إلى الشيء، كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في إثربعض» وانظر ج 1 ص 218، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، تحقيق عبدالسلام هارون.
- ²⁸ كتاب سيبويه 438/1
- ²⁹ لسان العرب مادة ف ر ط، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
- ³⁰ انظر: جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم
- ³¹ السابق نفسه
- ³² لسان العرب مادة ز ا ح
- ³³ الكواكب الدراي في شرح صحيح البخاري المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان طبعة أولى: 1356 هـ - 1937 م، 16/222
- ³⁴ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، 1407 هـ / 1986 م، 723/1
- ³⁵ عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليها في البيت والمدرسة والمجتمع (مرجع سابق)، باختصار ص ٢٠٧ - ٢٢٨
- ³⁶ انظر: رياض الصالحين، بلاغة الاستفهام في الحديث النبوي، عيدة ناغش، مجلة اللغة، 01-07-2016
- ³⁷ انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري المؤلف: حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، ج 5/ ص 11
- ³⁸ الجدول والمراء، محمد صالح المنجد ص 13
- ³⁹ جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم
- ⁴⁰ الزجر بالهجر جلال الدين السيوطي، طنطا: مكتبة الصحابة للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ، ص ١٠.
- ⁴¹ جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم
- ⁴² السابق الأخير نفسه
- ⁴³ انظر المفردات للراغب الأصفهاني مادة س و ر، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ

- ⁴⁴ انظر: جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم
- ⁴⁵ انظر: الاستعارة في الحديث النبوي الشريف، محمد علي الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص20
- ⁴⁶ جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم
- ⁴⁷ السابق
- ⁴⁸ التحرير والتنوير: 53/12
- ⁴⁹ السابق نفسه
- ⁵⁰ لسان العرب مادة خ رر
- ⁵¹ انظر: جمالية السرد في الأدب الإسلامي القديم.

*** **